فَاعِلِيَّةُ التَّنَاصّ الدِّينِيّ فِي شِعرِ أُسَامَةَ بنِ مُنقِذ

د. وجدان المقداد* روضة إبراهيم جلعوط**

(الإيداع: 28 شباط 2023، القبول: 12 آذار 2023)

المُلخّص:

التّناصُ، أو تداخُل النّصوص: تقنيةٌ فنيّةٌ أثبتت فاعليَّتها في النّص الأدبيّ و تقوم على استدعاء الشَّاعر نصوصًا مختلفة قارّة في المخزون التّذكري بهدف إثراء نصّــه الجديد، ويســتمدّ مفهومُ التّناص قيمته النّظرية وفاعليّته الإجرائيّة من خلال حضوره الفاعل في ميدانين مهمّين من ميادين النّقد الأدبيّ الحديث هما: القراءة والتأويل؛ إذ انطلق بوصفه إستراتيجيّة قراءة يُقرأ النصّ من خلالها في ضوء النّصوص المُتداخل والمُتقاطع معها، ثمَّ انتقل إلى حقل التّأويل؛ مبرزًا دورَ المتلقّي بوصــفه قارئًا فاعلًا مُشــاركًا في العمليّة الإبداعيّة بل مُنتجًا ثانيًا للنّص؛ إذ لا يمكن كشــفُ التّناص إلّا إذا كان المتلقّي عالمًا بالتّداخلات النّصيّة بين النّصوص، ولا يمكن الوقوف على تأثُّر نصٍّ لاحق بالنّص السّابق إذا كان المتلقي جاهلًا بهذه النّصوص أساسًا، فلابدّ من الاتّكاء في هذه العمليّة على ثقافة المتلقيّ، وسعة معرفته، وقدرته على التّرجيح، فضلاً عن ضرورة اشتراكه و المبدع في: الخبرات، والموروث الثقافيّ، والمصادر التي ينبني عليها النّص المُتناصّ والمختزنة في الذاكرة الجمعيّة لكليهما؛ فتبدأ عملية القراءة والتّأويل والالتذاذ بوعي البنى النّصـــيّة عندما يكون النصّ ملتقى تقاطع هذه الوحدات التي يشترك في إنتاجها المبدع (المرسِل) والنصّ(الرّسالة) والقارئ (المتلقّي) و رغم أنَّ مصـطلح التّناص يعدّ من المصــطلحات الحديثة نسـبيًا في الدّراســات الأدبية والنّقد الأدبيّ، إلّا أنّ له جذورًا في موروثنا البَلاغيّ والنّقديّ العربيّ، وهو يكشـــف وعيًا عميقًا للنّقاد والبلاغيين العرب القدامى لعلاقات النّصـــوص ببعضـــها والّتي تناولوها تحت مسميّات عدّة كالسّرقات، و المعارضات، و التّضمين، و التّلميح، و الإشارة، و الاقتباس، وغيرها

الكلمات المفتاحية: التّناص – تداخل النّصوص –فاعليّة التناص.

*دكتوراه– اختصاص الأدب العبّاسيّ– كلية الآداب جامعة حماة.

** طالبة دراسات عليا– ماجستير– قسم الدراسات الأدبية – كلية الآداب جامعة حماة.

The effectiveness of religious intertextuality in the poetry of Osama bin Munqith

Dr. Wejdan Al- Miqdad* **Rawda Jalout****

(Received: 28 February 2023, Accepted: 12 |March 2023)

Abstract:

Intertextuality or the overlapping of texts is a technical technique that has proven its effectiveness in the literary text and is based on the poet's invocation of different texts in the memorial inventory with the aim of enriching his new text. Reading and interpretation, as it was launched as a reading strategy through which the text is read in the light of the texts overlapping and intersecting with them, and then moved to the field of interpretation; Highlighting the role of the recipient as an active reader participating in the creative process and even as a second producer of the text; Intertextuality can only be revealed if the recipient is aware of the textual overlaps between the texts, and it is not possible to determine the influence of a later text on the previous text if the recipient is ignorant of these texts in the first place. His participation and the creator in the experiences, the cultural heritage and the sources on which the intertextual text is based and stored in the collective memory of both of them. The process of reading, interpreting and enjoying the awareness of textual structures begins when the text is the crossroads of these units whose production is shared by the creator (the sender) and the text (the reader (the message) Although the term intertextuality is one of the relatively recent terms in literary studies and criticism, it has roots in our Arab rhetorical and critical heritage. Citation, and others.

Key word: Intertextuality – the overlapping of texts – the effectiveness of intertextuality.

*PhD in Abbasid literature- College of Arts and Humanities- Hama University-Syria.
** Master's Student Department of Literary Studies College of Arts and Humanities-Hama University Syria.

المُقدّمَــة:

يعرّف التّناص intertextuality بأنّه حضور نصٍّ أو عدّة نصوص سابقة أو متزامنة في نصّ حاضر ممّا يجعل الأخير فضاءً مفتوحًا على نصوص سابقة ويجعله متداخلًا معها، ويكون عندما "يتضمنّ نصٌّ أدبيّ ما نصوصًا وفكرًا أُخرى سابقة عليه عن طريق الاقتباسِ أو التّضمين أو التّلميح أو الإشارة أو ما شابه ذلك من المقروء الأدبيّ لدى الأديب بحيث تندمجُ هذه النّصوص أو الفكرُ مع النّص الأصليّ و تندغمُ فيه ليتشكّل نصّ جديد متكامل."[1] وقد لجأ أسامة بن منقذ[2] إلى التّناص بوصفه تقنية فنيَّة، وأظهر كفاءةً عاليةً في استدعاء النّصوص وتوظيفها والتي استقاها من موروثه الدّينيّ؛ فقد ذُكِرَ في أخباره أنّه ربيّ تربيةً دينيّةً؛ فحفظ القرآن الكريم، واطّلع على الحديث النّبوي الشّريف.[3] وعليه فإنَّ هذا البحث يعرّف بالتّناص لغةً واصطلاحًا؛ عبر عرضٍ لمفهوم التّناص بوصفه منهجية فنيّة حديثة جاء بها النّقد الغربي، مع الإشارة إلى جذور هذا المصطلح في تراثنا النّقدي القديم، ثمّ الوقوف على ظاهرة التّناص الدّينيّ في شِعر أسامَةَ بنِ منقذ من كونها ظاهرة أسلوبيّة أثبتت حضورًا بارزًا وفاعلًا في مُنجزه الشِّعريّ وعكست الخبرات المُتراكمة والقارّة في مخزونه التّذكريّ، والهدف هو محاولةُ الكشف عن البُعد الفنيّ الّذي أدّاه هذا الإجراء الأُسلوبيّ في شعره؛ من خلال تحليل مُستويات التّفاعُل بين النّصوص الدينيّة المُستدعاة ونصّ الشّاعر.

مُشكلة البحث وأَهميّته والجديدُ فيه:

يعالجُ هذا البحثُ ظاهرة التّناص الدينيّ في شــعر أســامة بن منقذ لظهورها اللّافت في منجزه الشِّــعريّ، تكمن أهميّته في الجانب التّطبيقي انطلاقًا من أنّ هذه الدّراســة امتدادٌ لسـلسـة من الدِّراسـات الأدبيّة الّتي اتّخذت من التّناص مادةً للبحث لدى عددٍ من الشُّعراء، و ذلك عبر الوقوفِ عليها والعمل على تحليلها، بما يظهر فعاليّتها ويثبتُ كفاءة الشّاعر في توظيفها بوصفها إجراءً أسلوبيًّا اعتمده الشّاعر بما يخدمُ نصَّه الشِّعريّ ويعملُ على إثراء دلالاته.

---

[1]) الزّعبي، أحمد: التناص نظريًا و تطبيقيًا، مؤسسة عمون، عمان، الأردن2000م، ص11.

[2]) أسامة بن منقذ: أبو المظفّر مؤيَّد الدّولة أسامة بن مرشد بن عليّ بن مقلد بن نصر بن منقذ الكنانيّ الشّيزري ت584هـ الأمير الشّاعر الأديب المؤرّخ وفارس من أكابر بني منقذ ملوك قلعة شيزر شماليّ حماة ،عاصر الحروب الصّليبية منذ أيّامها الأولى وعُمّرَ حتّى بلغَ عمره ستًّا وتسعين سنة. انظر ترجمته في: الحمويّ الروميّ، ياقوت ت626هـ معجم الأدباء، تح: إحسان عباس دار الغرب الإسلاميّ، بيروت، لبنان، 1993م،ج2، ص89، وابن خلكان 681 هـ: وفيات الأعيان، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت لبنان، 1978م، مج1، 195. والأصفهانيّ، العماد الكاتب ت 597هـ: خريدة القصر وجريدة العصر قسم شعراء الشّام، تح: شكري فيصل، المطبعة الهاشميّة، دمشق، 1955م، ج1، ص498. والمقدسيّ، أبو شامة ت665هـ: الروضتين في أخبار الدولتين النّوريّة والصّلاحيّة، تح: إبراهيم الزيبق، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1997،1م،ج1، ص309-315-352-355.

[3]) ابن عساكر ت571هـ: تاريخ مدينة دمشق، تح: العمروي، عمر بن غرامة، دار الفكر،1995م ، ص90. و ابن تغري برديت874هـ: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، وزارة الثّقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للطباعة والنّشر،(د.ت)، ج6، ص107.

أهـداف البَحثُ وأسئلته:

يجيب البحث عن الأسئلة الآتية:

1. ما أشكال التّناص الدينيّ في شِعر أُسامة بن منقذ؟
2. إلى أيّ مدى استفاد الشّاعر من ثقافته الدّينية ووظّفها في خدمة نصوصه؟
3. كيف تجلّت فاعليّة النّص الغائب الذي استحضره الشّاعر في خدمة النّص الجديد؟

فرضيّات البحث وحُدوده:

يعتمد البحث على فرضـيّة مفادها: أنّ التّناص في شـعر أسـامة بن منقذ هو إجراء أسـلوبيّ وتكنيك فنيّ اتّكأ عليه الشّاعر بشكلٍ واعٍ مظهرًا كفاءته الإبداعيّة وقدرته على توظيف موروثه الدينيّ توظيفًا فنّيًا يخدم نصّـه الشّـعري، و يوضـح واقعه النّفسـيّ معبّرًا عن تجربته الشّـعوريّة إزاء المُفارقات التي كان يعيشُـها، كما يفترض قِسـمته تبعًا لتجليّاته في منجز الشّـاعر إلى قسـمين أوّلهما تناصّ مع القرآن الكريم والذي أخذ ثلاثة مظاهر هي : تناص كامل، تناص جزئيّ وتناصّ إشاريّ وثانيهما تناصٌّ مع الحديث النبوي الشّريف مجسِّـدًا بقسـميه التّفاعل الخلّاق بين النّص الغائب والنّص الحاضـر، يبدأ البحث بتعريف التّناص لغةً واصـطلاحًا من ثمّ يتناول ظاهرة التّناص الدينيّ في شِـعر أُسـامة بن منقذ بالدَّرس والتّحليل، مُعتمدًا في مادّته على دِيوان الشَّاعر طبعة دار صادر في بيروت عام 1996م، والمُستدرك على الدّيوان ممَّا جمعه الباحث المرحوم محمّد عدنان قيطاز في كتابه المعنون: أُسـامة بن منقذ والجديد من آثاره وأشـعاره من مطبوعات وزارة الثّقافة في الجمهورية العربيّة السّورية عام 1998م.

منهج البحث وإجراءاته:

اعتمد البحث على المنهج الوصـفيّ التّحليليّ الذي يقوم على وصـف الظّاهرة بعد جمع كمٍّ مُناسـبٍ من الشَّواهد الشِّعرية موضع الدّرس ومن ثم استقرائها ، وتحليلها، وشرحها؛ بهدف استخلاص النَّتائج المُناسبة للفرضيات .

تعـريـف الـتّـنـاص:

التّناصّ لـغـةً:

التّناصُ مأخوذٌ من الجذر اللّغوي : " نصّ ونصـص" ، ومن الدّلالات اللّغوية لهذا الجذر هي : الرّفع والظّهور؛ فقد جاء في لسـان العرب لابن منظور : " النّص رفعُك الشّـيء ، ونصَّ الحديث ينصّـه نصًـا: رفعه ، وكلّ ما أُظهِرَ فقد نُصّ، ونصّ المتاع نصـاً: وضـع بعضـه على بعض"[1] ، و "نصّ العروس

[1]) ابن منظور ت711هـ: لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، مج7، مادة نصص.

ينصـها نصًـا : إذا أقعدها على المِنصّـة لتُرى، وتناصّ القوم : ازدحموا"[1] ، والمعنى الأخير يقتربُ من مفهوم التناص في صيغته الحديثة ؛" فتداخُل النّصوص قريبٌ جدًّا من ازدحامُها في نصٍّ ما"[2]

التّنَاص اصطلاحَاً:

"أخذ مصـــطلح التناص دلالته النقديّة في الدّراســـات الأدبيّة وظهر لأوّل مرّة على يد الباحثة جوليا كريســـتيفا في عدة بحوث بين 1966–1967م والتي صـــدرت في مجلتي تيل–كيل Tel-Quel وكريتيك Critique وأُعِيدَ نشـرها في كتابيها سـيميوتيك ونصّ الرّواية وعرّفته بأنّه التّقاطع داخل نصّ لتعبير مأخوذٍ من نصـــوص أخرى"[3] والملاحظ أنه لم يكن هناك اتفاق بين رواد الحداثة حول شـــفرتهم النّقدية أو التّفسيرية، فبعضـهم يرشّح مفهوم التّناص، و بعضـهم يفضّل التّناصية أو النّصوصية، وآخرون يميلون إلى تداخل النّصـوص ولكن على الرغم من كل ذلك يظلّ أوّلها أكثرها شـيوعا وانتشـارًا[4] وقد عانى المصـــطلح من اضـــطراب في ترجمته فقد زاد عند من ســـعى إلى ترجمته على ما يزيد على عشـــرين مصـــطلحًا؛ فترجم إلى تناص، وتداخل النصـــوص، و تعالق النصـــوص، وتفاعل النصـــوص، وتوارد النصـــوص ، و الحوار بين النصـــوص فضـــلا عن التناص ، أو النصـــية ، أو النص الغائب ، والنص الظل ، والنص المُزاح ، والنص المفقود. [5] ، وفي هذا السّـياق ارتأت نهلة فيصـــل الأحمد أنّ **مصـــطلح التفاعُل النّصـــي** أو **التّناصـــيّة** هو: البديل المقابل للمصـــطلحين الأجنبيين Transtextuality و Intertextuality التّفاعل النصي والتناص عند كرستيفيا، والتّعالي النّصي عند جيرار جينيت، وترى أنّها الترجمة الأقرب للمصـــطلح الأجنبي مســـتبعدةً ترجماته العربيّة الأخرى، والتي وصـــفتها بأنّها لا تخلو من مزاجيّة مبكرة؛ من مثل هجرة النّصـــوص، التّعالق النّصـــي، النّص الغائب التداخل النّصـــي، و تســـوّغ رفضـــها لتلك التّرجمات بأنّه ليس فيها ما يُقارب مفهومه كاملًا فضـــلاً عن الحمولات الإيديولوجيّة التي تلحق ببعضها[6] فما "يحدث بين النّصوص من علاقات لتشكيل نصّ جديد هو عمليّة تفاعُل، أي ممارسة اندماجية ومزج كيميائي بدرجات متفاوتة، ويكون الارتداد إلى الماضـــي أو اســـتحضـــاره من أكثر الأمور فاعليّة في عمليّة الإبداع."[7]

---

[1]) الزبيدي ت1205هـ: تاج العروس، تح: العزباوي، عبدالكريم، مطبوعات حكومة الكويت، 1979،ج18، مادة نصص.

[2]) ناهم، أحمد: التناص في شعر الرواد، دار الآفاق العربية، القاهرة، مصر،2007م، ص17.

[3]) عبد المطلب، محمّد، قضايا الحداثة عند عبد القادر الجرجاني، الشركة المصرية العالمية لونجمان، القاهرة، مصر، 1995م، ص137.

[4]) المرجع السّابق نفسه والصفحة نفسها.

[5]) انظر ناهم، أحمد: التّناص في شعر الرواد، دار الشّؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق، 2014م،ص14. وجمعة، حسن حسين: نظرية التناص صكّ جديد لعملة قديمة، مجلة مجمع اللغة العربية، دمشق المجلد 75،ع2، 2000م، ص319.

[6]) الأحمد، نهلة فيصل: التّفاعُل النّصي–التناصيّة النظرية والمنهج، الهيئة العامّة لقصور الثقافة، القاهرة، مصر،2010م، ص 258.

[7]) عبد المطلب، محمّد، قضايا الحداثة عند عبد القادر الجرجاني، ص142.

و يلحظ القارئ أنّ التّناص الذي لجأ إليه الشّـاعر هو تناصّ واعٍ و" التّناص الصّـادر عن وعي هو: ذلك التّناص الذي يقصد إليه الشّاعر قصدًا، ويعرفُ مصدرهُ ويستخدمه استخدامًا فنّيًا لهُ غايته ووظيفته"[1]

التّناص الـدّيـنــي فــي شِـعــِر أسَامَـة بن منقذ:

ويقصد به : " تداخُل نصوص دينيّة مُختارة عن طريق الاقتباس أو التّضمين من القرآن الكريم أو الحديث النّبويّ الشّريف ، أو الأخبار الواردة الدّينيّة مع النَّص الأصليّ للقصيدة؛ بحيثُ يؤديّ غرضًا فكريًّا أو فنيًّا أو كليهما معًا"[1]، ويبدو للمطّلع على شِـعرِ أسـامةَ بن منقذ أنّ لغته الشّـعريّة متأثرةٌ على نحوٍ عميق بالثّقافة الدينيّة التي تشرّبها وربّي عليها صـغيرًا، وقد ظهر أثرها بشكلٍ جليّ في شـعره؛ فبدتِ النُّصـوص الغَائِبة التي استحضرها واقتطعها من سِياقها و ارتكز عليها في بناء نصّـه منسجمةً مع نصّـه الحاضر، معمّقةً إيّاه فنيًّا وفكريًّا، و يُمكن الوقوفُ على مظهرين للتّناص الدّينيّ عند الشّـاعر: تناصّ مع آيٍ القرآن الكريم، وتناصّ مع الحديث النّبوي الشّريف، بوصـف هذين المصـدرين يشكّلان مادّةً ثريّةً بالقيم والمعاني والرّموز التي يمكن للشّاعر الاتّكاء عليها في بناء نصّه.

1-1 التّنـاص القُرآنـي:

عمَّقت ظاهرةُ **التّناص القُرآنيّ** العَمليّة الإبداعيّة من خلال تفاعلِ نصوص الشّاعر المُختلفة مع بِنية هذا النّص المُعجِز؛ إذْ تأثّر بطاقاته ومعانيه ؛ فتمثّلَ بعض آياته **بشكلٍ كليٍّ أو جزئيٍّ** في تجلٍّ واضح يصلُ إلى وعي المتلقيّ مباشرةً، وأحالَ حينًا آخر إلى بعضها بشكلٍ إشاريّ في دلالة مكثّفة موجزة تحتاج بعض الدّقة في اكتناهها، وشكّل هذا التّأثير علاقةً نصيّةً تقوم على تقاطُعٍ جديد للوحَدَات النّصيّة المُنتقاة في البِنية الشّعرية أو إعادة ترتيبها، مُحمّلةً إيَّاها الحِزَمَ الدّلاليّة والطّاقات الإيحائيَّة اللّازمة، "ومن هنا يصبحُ توظيف التّراث الدّينيّ في الشِّعر –خاصّةً ما يتّصل منه بالصَّيغ– تعزيزًا قويًّا لشاعريَّته، ودعمًا لاستمراره في حافظة الإنسان"[2] ، وانتظم التّناص مع الآياتِ الكريمة في ثلاثة أشكال:

أ– تناصٌ كامـل:

وهو استحضار الشَّاعر الآية الكريمة بكاملها بعد تغييرٍ بِنيويّ يجريه في شكلها؛ إذ يأخذُ نَصًّا مُتكاملًا بعدَ اقتطاعه من سِـــياق نصٍّ غائب، ويوظّفه في نصّـــه اللّاحق، بعد تحويرٍ وتغييرٍ يُجريه في بِنيَة النَّص الأَصليّ؛ عبر التَّقديم والتَّأخير، أو الحَذفِ أو الإضافة ومن ذلك قوله من الطويل[3]:

مِنَ الأَرضِ أُنشِئنَا وَفيهَا مَعَادُنَـــــا وَمِنهَا يَكُونُ النَّشـــرُ والبَعثُ والحَشـــرُ

---

[1]) السنجلاوي، إبراهيم، دلالة التّضمين في خواتم قصائد أبي نواس ،مجلة جامعة دمشق،ع11، 1988م، ص5

[2]) فضل، صلاح: إنتاج الدّلالة الأدبيّة، مؤسسة مختار، القاهرة، مصر،ط1 (د.ت) ص59.

[3]) ابن منقذ، أسامة: الدّيوان، 1996م، دار صادر، بيروت، لبنان، ص297.

وَنَحنُ عَليهَا عَاكِفونَ ولَيسَ فِـــــي مَـواهِـبِهَـــا عُقـبَى تَـسُـرُّ وَلا يُـسْـــرُ
وَهَذا هُوَ الخُسرُ المُبينُ فَمَا لَـــنَـــا حِـراصٌ عَلَى أَمْـرٍ عَـواقبهُ خُـسْـــــرُ

يظهر لقارئ الأبيات اتّكاء الشّـــاعر على آيات القرآن الكريم واعتماده الواضـــح عليها، التي كانت رافدًا مهمًّا للحكمة التي أراد إيصالها للمتلقي، والتي كانت تعبيرًا إنسانيًّا يبرز خلجاتِ نفسه، وما يجول فيها من خواطرَ وفكر تبدّت بوصـفها نتيجةَ تجربةٍ ثريّة وواقعٍ مُعاش؛ فكانتِ الآياتُ التي اسـتحضـرها خير مُعبّرٍ عن رؤيتهِ لحقيقةِ الحياة، وفهمه لما تؤول إليه، و أداةً للتّأثير الوجدانيّ في الآخر من خلال مخاطبة العاطفة الدينيّة لدى المتلقّي، وقد ظهر التّناص في موضـعين ؛ ففي البيت الأوّل كان مع قوله تعالى: ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ.﴾[1]، بينما وقع التناصّ في البيتِ الثّالث مع قوله تعالى: ﴿أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْـرَان الْمُبِين.﴾[2] جاء اسـتحضـارُ الشّـاعر للآيات الكريمةِ في معرضٍ وعظيٍّ زُهديّ قدّمَ فيه حقائقَ ثابتة مُذكّرًا النّاس بحقيقة الموت الحتميّة التي لا مفرّ منها، وما يتلوها من بعثٍ ونشورٍ وحِسَاب، وحالَ الخسارة التي هي عاقبة اللاهين الغارقين في شهواتِ دنياهم، جاء النّص الشّعري مُتواشجًا و متماهيًا مع النّسج القرآني ؛ فكان استحضارهُ ذاك بمنزلة جملٍ مفتاحيّةٍ تستجرّ فضاءً قرآنيًا بأكمله، سـرعانَ ما يربط فيها المتلقي الواعي بين النّصـين ؛ فيعيش الرَّهبةَ والأثرَ العميقَ للنّص المقدّس، وإن كان يلمحهُ في قالبٍ فنيّ ، وهو بدوره ممّا يتناغم و شعر الزّهد والوعظ والإرشاد والتّرغيب بالفضيلة، و قد ظهر هذا الإلحاح والسّـعيّ الحثيث لدى الشّـاعر لاسـتحضـار النّص القرآني وتوظيفه في معرض الوعظ والاعتبار في أكثر من موضع، من ذلك قوله من البسيط[3]:

يَا مَنزلًا كَان فِيهِ الـعِـزُّ مُـقـتـرنًـــا بِالسَّيــفِ والــمَالُ مَقْرونًا إلى الكـــَـرَمِ
مَن خَـافَ جورًا وعُـدمًـا ثمّ لاذ بـه لا قَى الأمَـانين مِن جَورٍ وَمن عُـدْمِ
أفنَـتْ حُمَـاتَـكَ أحـدَاثُ الزّمـان فيَـا للهِ مِن فتكهَـا بـالأُســـــدِ في الأَجمِ
فَأَصْبَحُوا لَا تُرَى إِلَّا مَسَاكنَهُم كَأنّ ما خُـوّلُـوه كَـانَ فِـــي الحُلُـم
وَلَمْ تَدَعْ منـهم إلَّا حَـــديـثَـهُـم كَمَا تُحـــدّثُ عَـن عَـــادٍ وعَـن إرَمِ

[1]) سورة طه، الآية55.
[2]) سورة الزمر، الآية 15
[3]) قيطاز، محمّد عدنان: أسامة بن منقذ والجديد من آثاره وأشعاره،1998م، منشورات وزارة الثّقافة، دمشق، الجمهوريّة العربيّة السوريّة، ص237.

تتنامَى مشاعر افتقاد المكان والشوقِ إليه ببعدِهَا الاجتماعيّ مع تنامي مشاعر الاغتراب ، والسبب هو عظم الفاجعة التي مُنِيَ بها، وهي فقد أهله الجماعي؛ إذ أبادت الزلزلة التي أصابت بلاد الشّام[1] أهله عن بكرة أبيهم ، ودمرّ هذا الحدث الكارثيّ المنازل والديار؛ فجعلها أثرًا بعد عين ؛ مما جعل الشّاعر يستحضر صور العقابِ الإلهيّ الّتي أهلكت الأمم البائدةَ (عَاد) و (إرَم ذات العِمَاد) في تناصٍّ مع آي القرآن الكريم[2] مبديًا حسراته وأحزانه عليهم، في بكائيّة أقرب ما تكون إلى خطاب التّأبين منها إلى الفخر، وقد أدّى التناصّ دورًا بارزًا في إظهار الشَّحنات الوجدانيّة السّالبة المستقرة في وعيَ الشّاعر القلق تجاه سلطة النَّفي والمَحو(الكارثة الطبيعيّة – الزلزلة)، وما نتج عنها من الشّعور بالاستلاب إثرَ تدمير بنية المكان، الموت الفجائيّ، والنّزوح الجماعيّ الذي خلخل البنية الاجتماعيّة–الإنسانيّة ، وفعلها الخّلاق في المكان، وأمام هذه المحنة الكونيّة والشّعور بالعجز يطلّ الشّاعر على رحاب ماضيه الأليف في محاولةٍ لتجاوز حالة الاغتراب وواقع التّردي ؛ فيستعيد صورة المكان كأبهى ما تكون: (يَا مَنزلًا كَان فِيهِ العِزُّ) ، ويستعيد المكان ببعده الاجتماعيّ والوجودِ الإنسانيّ البَاعِثِ لأسبابِ الأنُسِ والحياة في المكان المُستَلب الذي بات بعد (الزّلزلةِ) مكانَ قفرٍ: (فَأَصْبَحُوا لَا تُرَى إِلَّا مَسَاكنَهُم) ، والموازنة بين النّصين السّابق واللّاحق تجعل المتلقي يعيش أجواء الرَّهبةَ والأثرَ العميقَ الذي يوحي به النّص المقدّس، وإن كان يلمحه في قالبٍ فنيّ جديد، ثمّ إنّ التّناص مع الآية الكريمة وقع لفظاً ومعنى ؛ فالصّورة التي آلت إليها شيرز بعد الزلازل المدمر الذي أصابها من خرابٍ ودمارٍ وبقاء مساكنهم المتهالكة الخالية من مظاهر الحياة تتناسب مع ما وقع لقوم عاد ؛ إذ اجتاحت الرياح مدينتهم بأمر من الله عذابًا لهم على تكذيبهم نبي الله هود ، وكون قوم عاد قد استجلبوا العذاب والعقوبة بسبب تكذيبهم وعصيانهم لنبيّهم فهذا لا يعني أنّ أهل شيزر كانوا كذلك ، فربما اجتباهم الله ليكونوا من الشهداء ، لكنّ الشّاعر وظّف النّص القرآني لتشابه المصير الذي آل إليه أهله مع مصير قوم عاد؛ إذ بقيت المساكن الخاوية شاهداً على مصارع القوم، ولعلّ تضمين النّص القرآني في هذا السّياق جاء على سبيل الحكمة والموعظة والاعتبار أيضًا، ولابدّ أن

---

[1]) يُعَدّ الزّلزال الذي أَصاب بلاد الشّام في رجب سنة /552هـ- 1157م / من أعنف وأخطر الزّلازل التّي تعرّضَت لها المنطقة، فقد تتابَعَ عليهَا في كلّ يوم عددٌ كبير من الهزّات الارتداديّة المروّعَة التي خلّفت دمارًا كبيرًا وأهلكت من الخلق الكثير، فلم ينجُ من بني منقذ وهم أُمراء شيزر، إلّا مَن كان خارجها و الخاتون زوجة حاكم شيرز بعد أن أُخرِجتْ من تحتِ الأنقاض، بينما قُتِلَ زوجها تاج الدولة ابن أبي العساكر، وكلّ مَن معه من أهلِ بيته. انظر: ابن القلانسي، أبو يعلى حمزة ت555هـ: ذيل تاريخ دمشق، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، لبنان،1908م، ص344. و ابن الأثير ت630هـ: الكامل في التّاريخ، تح: محمّد يوسف الدقاق دار الكتب العلميّة، بيروت لبنان،ط4، 2004م ، مج9، ص 414. وابن العديم ت660هـ: زبدة الحلب من تاريخ حلب، تح: خليل المنصور، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط1، 1996م، ص338. والمقدسيّ، أبوشامة: الروضتين في أخبار الدولتين النّوريّة والصّلاحيّة، تح: إبراهيم الزيبق، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 1997م ج1، ص330

[2]) وقع التناص مع قوله تعالى: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾ سورة الأحقاف، الآية 25.

نأخذ بعين النظر وقع الصـــدمة ، و فجائية الموقف ؛ إذ فقد أهله ومنازلهم بســبب الزلازل الذي أصـــاب شيزر؛ فبقيت أثرًا بعد عين.

ب–تناص جزئـيّ:

ويقوم على توظيف عبارات أو جمل أو تراكيب جزئيّة غير مكتملة ، من خلال اقتباس بعض الكلمات والمفردات أو الجمل وأشـباه الجمل، واقتطاعها من نص غائب ؛ فنجد الشّـاعر يعملُ على اجتزاء ألفاظ من الآية الكريمة وتضمينها في نصه الشعريّ، و من أمثلته قوله من الطويل[1]:

إذا عَـــرا مَـــــا لَا أُطيـــقُ و أرَمَـــضَـــنـــي الفِكرُ المُســـهِّدُ وَالهَـــمَّ

دَعَوتُ الّذي نَاداهُ مُوسَـــى لِدَفـــعِ يُحَاذرُ مِن فِرعَونَ ، فانفَرقَ اليَـــــــــمُّ

وَ نَـادَيتُ مَن نَـــــــادَاهُ ذُو النُّونِ بـــهِ فِي ظَلامِ البَحرِ ، فَـانكشـــفَ الغَمُّ

ففيه استدعاء لشخصيتيّ النبيين الكريمين موسى و يونس عليهما السلام و تناص مع قوله تعالى:

﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ ۖ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾[2]

وقوله تعالى: ﴿ وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ، فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾[3] استحضر الشاعر بعض ألفاظ الآيتين الكريمتين استحضارا للموقف الذي يستتبعهما؛ إذ يعيش موقف الحسرة والأسى على الحال التي وصل إليها ؛ إذ أحبطت جميع مساعيه ، وسُدّت كلّ السّبل في وجهه ؛ فالتجأ إلى الله عزّوجل مستذكرًا حسن صنعه مع أنبيائه حال لجوئهم إليه ، متفائلاً بحسن العاقبة لما وقع فيه من الضيق قياسًا على لطف الله بهم.

وقال من الكامل[4]:

يَـا رَبِّ إنَّ إسَـــاءَتي قَـد سَـــوَّدَتْ بَينَ الكِرَام الكَـاتبينَ صَـــحَـائِفِي

والخَوفُ مِنكَ وَ مِن عِقَابِكَ مُقلِقِي فَـارحَم مَخـافَـة ذِي الفُؤاد الرَّاجِف

مَنْ خَافَ شَـــيئًا فَرَّ مِنهُ هَارِبًا وَإلِيـكَ مِنـكَ مَفَرُّ عَبـدٍ خَـائفِ

يتكئ الشّـــاعر مجددًا على المعاني الدينيّة في تناصٍّ جزئي مع آي القرآن الكريم من خلال اجتزاء ألفاظ من سياق الآية الكريمة ، وإعادة توظيفها في نصّـه الجديد؛ إذ وقع التّناصّ في قوله: بين الكِرامِ الكاتبينَ

---

[1]) أسامة بن منقذ: الدّيوان، ص287.

[2]) سورة الشعرء، الآية 63.

[3]) سورة الأنبياء الآية ٨٧ –٨٨.

[4]) قيطاز، محمّد عدنان، أسامة بن منقذ والجديد من آثاره وأشعاره، منشورات وزارة الثّقافة، الجمهوريّة العربيّة السوريّة، دمشق، 1998م، ص.194

مع قوله تعالى ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ، كِرَاماً كَاتِبِينَ، يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾[1] فأظهر حجم القلق والخوف الذي سيطر على نفسه مع تقدّمه في العمر، واقترابه من المصير المحتوم، الموت لكنّ الموت رغم هوله وثقل وقعه لم يكن هو ما أثار قلقه وسلبه الهدوء والاستقرار، وإنّما الأسئلة الوجوديّة التي تتبعه ، والصّراع الذي يحتدم في نفس من أشرف على الموت ؛ هل هو الثواب أو العقاب؟ اليأس والخوف أو الرّجاء والأمل بالرّحمة؟ الجنة أو النّار، بيد أنّه يضع حدًّا لذلك الصّراع الذي قضّ عليه مضجعه ، مُسكتًا ضجيج القلق الذي يتصاعد في نفسه، قاهرًا حالة الغربة تلك باللّجوء إلى رحمة الله، ويعتمد مرّةً أخرى على التّناص القرآني ليدعم موقفه مستأنسًا بآي القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴾[2]

وقال من المُجتث[3]:

إِنْ فَاجَأَتَكَ اللَّيَالِي بِمَا يَسُوءُ فَصَبرَا

فَالدَّهرُ يُرهِقُ عُسرَا وَيُتبِعُ العُسرَ يُسْرَا

لَو دَامَ مَا سَاءَ مِنهُ لَدَامَ مَا كَانَ سَرَّا

يعتمد الشّاعر على معاني القرآن الكريم مجددًا مخففًا وطأة الاغتراب الواقع عليه، وظلم الدهر الذي بادءه بما يسوؤه ، ولم يصفُ له يومًا ، بل زاده رهقًا ، وأمعن في ضيمه وأذيّته، فيستحضرُ قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾[4] ، وقوله:﴿ سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾[5] باثًا الطمأنينة والسّكينة المستمدتين من الوعود الإلهيّة في نفسه ، وقاهرًا حالة الاغتراب ؛ فالعسر لابدّ إلى يُسر، والضيق لابدّ أن ينتهي بالفرج.

وقال من البسيط[6]:

يُهوّنُ الخَطبَ أنّ الدّهرَ ذُو غِيَرٍ وأنّ أيّامَهَ بَينَ الوَرَى دُوَلُ

وأنّ مَا سَرَّ أو مَا سَاءَ مُنتقلٌ عَنَّا وَ إلَّا فإنَّا عَنهُ نَنتَقِلُ

تزداد وطأة الحياة قسوة عليه ، وتتتابع الخطوب والمصائب ؛ فيلجأ مجددًا إلى معاني القرآن الكريم مواسيًا نفسه ، و مخففًا عنها معاناتها مستحضرًا قوله تعالى :﴿ إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ ۚ وَتِلْكَ

---

[1]) سورة الانفطار، الآيات10- 11-12.

[2]) سورة الذاريات، الآية50.

[3]) ابن منقذ، أسامة، الديوان، ص239.

[4]) سورة الشرح، الآية ٥.

[5]) سورة الطلاق، الآية٧.

[6]) قيطاز، محمّد عدنان، أسامة بن منقذ والجديد من آثاره وأشعاره،،ص206.

الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُـــهَدَاءَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾[1] ؛ فالأيّام دوَل ولا تثبت على حال فلا هناءة دائمة تستقرّ النفس إليها ، ولا مساءةً باقية تجزع النفس منها، الوجود مؤقت ، والحياة رحلة لابدّ أن تنتهي.

ثم ينتقل الشّاعر إلى مستوىً أعلى من محاولة الاستئناس بمعاني القرآن الكريم ؛ فلا يكتفي بالتخفيف عن نفسه المغتربة ، وإنّما يسعى ليخفّف عن الآخر أعباءه وهمومه من باب المشاركة الوجدانيّة التي تؤنس الذّات وتسلّيها بقدر ما تؤنس الآخر؛ فالهمّ الإنسانيّ واحد، والشّقاء مشترك ، والصّراع الوجوديّ مع تقلّبات الدّهر دائم بدوام الحياة ؛ فلا بدّ من الصّبر و الرّضا بما كان ، و من ذلك قوله في كتابٍ أرسله لأحد أصحابه من الطويل[2]:

أبَـــا حَسَنٍ فِي طيّ كُلِّ مَسَاءةٍ ... من اللهِ صُنْـــعٌ للعِـــبـــادِ جَمِيـــلُ

كَرِهْتُ لَكَ التّرحالَ أمسِ وربّمَا ... أفادَ الفتى طول المُقَام رَحِيْلُ

وَقَد يَكرهُ الشَّـــيءَ الفَتَى وهُو خيرهُ ... لَـهُ وَ يُحبُّ الشَّـــيء وهُو وبيلُ

يحثّ الشّاعر صاحبه على الرّضا بما وقع عليه من الارتحال القسريّ الذي مُنيَ به وعاد عليه جزعًا واغترابًا في تناص مع قوله تعالى: ﴿وَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[3] وقوله تعالى: ﴿ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[4] والهدف هو التخفيف عن النفس والترويح عنها وحثّها على الإيمان بحكمة أقدار الله وحسن تدبيره.

وقوله من السريع [5]:

مَـثوبَـةُ الـفَاقِدِ عَـنْ فَقْـدِهِ ... بِـصَبْـرِهِ أنـفَـعُ مِـنْ وجْـدِهِ

يَبكيهِ من حُـزنٍ عليهِ فهـلْ ... يَطمَعُ في التّخليدِ من بعدهِ

لِحادِثٍ أسـكَتَهُم أمسَـكُوا ... عَـنِ ابْـتِـدَاءِ الـقَـولِ أو ردّهِ

لو نطقوا قـالوا : التّقى خَيرُ مـا ... تَـزَوَّدَ الـمَـرْءُ إلـى لـحْـدِهِ

---

[1]) سورة آل عمران، الآية 140

[2]) ابن منقذ، أسامة: الديوان،ص190.

[3]) سورة البقرة آية:216

[4]) سورة الأنعام، الآية 19.

[5]) ابن منقذ، أسامة: الديوان، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1 1996م، ص279.

في السّـياق الوعظيّ الدّاعي إلى الحكمة والاعتبار بالغير ؛ بهدف الحث على التزوّد من الخير، والإقبال على العمل الصّـالح؛ فيوظف مجددًا آي القرآن الكريم بشكل جزئيّ ، وهو قوله تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ ۚ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ.﴾[1]

ج- تناص إشَـاريّ "إحالــيّ":

وهو التنّاصّ الذي يعتمدُ على الإشـارة المكثّفة من خلال الارتكاز على مفردةٍ أو اثنتين تمّ اقتطاعها من سـياق سـابق غائب لتوّظف في سـياقٍ جديد حاضـر، ويتميّز هذا الأسـلوبُ بالتّكثيف والإيجاز، مع الدّقة في التّعبير؛ إذ تحيل المفردة الموظّفة على النّص القرآني الذي اقتُطِعت من سـياقه وتكون في الوقت نفسه قادرةً على التّعبير عن المضمون الذي أراده الشّاعر بعد توظيفها في سياقها الجديد ومن أمثلته قوله من الكامل [2]:

أنكرْتَ هَجري والزَّمانُ بجَـــــــــورِهِ يَقضـــي بِأَن يَتَهَاجرَ الأَحْبـــــاب

حَظرَ الوفاءُ عليَّ هَجرَكَ طائـــــعًا وإذا اقتُسِـــرْتُ فمَا عليَّ عتَـــــاب

وُدّي كـعـهـدِكَ والـدّيـارُ قَـريـبَـةٌ مِن قـــبلِ أن تَتَقـــطَّـــعَ الأسبَاب

ثبْـــتٌ فلا طُولُ الزّيَـارَة نَـــاقـِـصٌ مِنـــهُ وَ ليْـسَ يَزيـدُهُ الإِغْـبَـــاب

فقوله في عجز البيت الثّالث: (من قبل أن "تَتَقطَّعَ الأسباب) في تناصّ إشاريّ يحيلُ إلى قوله تعالى : ﴿ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْـبَابُ﴾[3]، وقد نقل الشّـاعر المفردة من السِّـياق القرآني بما يحيط بها من جوٍّ مشـحون بالحسـرات والنّدامة ، ووظّفه في خدمة نصّـه ، "فبعد رؤية عذاب الله واقعًا لامحالة يتبرّأ المُتَّبعون على الشّرك من أتباعِهم وتتقطّعُ أسباب المواصلة التي كانت بينهم في الدّنيا يتواصـلون ويتحابُّون بها لترجع عليهم عداوةً و ندامةً وحسـرةً يوم القيامة" [4] ونجده يقلبُ معنى الآية التي أحال إليها، ويعكسُ سياقها السّابق؛ ليؤكّد محافظته على مودتّه ومحبته وأسباب وصاله؛ فهي كحال القرب لم تنقطع ولم تتغيّر؛ كما لو أنّ الفراق لم يقع البتّة.

وقال من مجزوء الكامل[5]:

وانظر إلى الأغصانِ شُمُوسًا في غَياهِب

---

[1]) سورة البقرة، الآية 197.

[2]) ديوان أسامة بن منقذ، مصدر سابق، ص9. و الإغبابُ مصدرُ أغبّ إذ حضر يومًا وغاب يومًا، عن ديوان ابن منقذ.

[3]) سورة البقرة الآية ﴿166﴾.

[4]) الطّبري ت310هـ : تفسير جامع البيان عن تأويل القرآن، تح: بشار معروف وعصام الحرستاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 1993م، مج1، ص454.

[5]) ابن منقذ، أسامة: الديوان، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 1996م،ص11.

فِـي وَجْـهِـه ضدّانِ كُـلّ مِـنـهُمَـا لِلُّـبِ سَـالِـب
نَـارٌ بِـلا لفْـحٍ تـضـرَّمُ وَسْـطَ مَـاءٍ غَـير ذائِـب
هَذي بـقايَا سِـحـر بَـا بِـلَ وهيَ من إحدى العجائب

في قوله "سِـحرُ بابل" تناص إشـاريّ يحيل إلى قوله تعالى:"وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّـيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُـلَيْمَانَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُـــلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّـــيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّـــحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ ۚ" [1] ذُكر أن الشّياطين ابتدعت كتابًـــا فيه سحر وأمر عظيم ، ثم أفشوه في الناس وعلموهم إياه ويظهرُ أنّ في الكلام متروكًا تُرك ذكره اكتفاء بما ذكر منه، وأنّ معنى الكلام: واتبعوا ما تتلو الشّـــياطين من السّـــحر ، وأنّ السّـــحر يُعلّمُ بأرضِ بابل، وأن الذين يعلمونهم ذلك ملكان اسـم أحدهما هاروت واسـم الآخر ماروت، و تناقش العلماء والمفســرون[2] فكان القول إنّ السّـــحر انتشـــر في مدينة بابل في ذلك الزمن، وفي تلك المرحلة تقريباً أنزل الله عزّوجل الملكين هاروت وماروت في هذه المدينة لتعليم الناس السّـحر ليبتليهم الله عزّوجل ويميز بين السّـحر والمعجزة؛ وذلك من أجل أن يظهر للنّاس صـدق الرّسـل وكذب السّـحرة لكي يؤمنوا ويتثبت الإيمان واليقين في قلوبهم وبذلك نجد أنّ سياق ذكر السّحر في الآية الكريمة سـياق سـلبيّ إذ كان فتنة للنّاس[3] لكنّ الشّـاعر وظّف السّـحر بشـكل إيجابيّ محيلًا على جمال المحبوبة ووجهها الفاتن الذّي نال جزءًا كبيرًا من ســـحرِ المدينة وعجائبيتها، وتظهر بشـــكلّ جليّ ثقافة الشّـــاعر العميقة وقدرته على الدمج بينَ موروثه الدّينيّ، والتاريخيّ ؛ فجمع بين ســـحر المدينة الذي ذكره القرآن الكريم وعجائبيتها، وهي معروف عنها أنّها إحدى عجائب العالم القديم[4]

وقال من المتقارب[5]:

دَعوتُ وَقَدْ أَمَّنَ الحَافِظَانِ وَذُو العَرشِ مِمَّن دَعَاهُ قَريبُ
وقدْ قَالَ سُبحَانَهُ للـعِبَادِ: سَلُوني فإنّـي سَميعٌ مُجِيبُ

---

[1]) سورة البقرة: الآية102.

[2]) الطّبري ت310هـ : تفسير جامع البيان عن تأويل القرآن، تح: بشار معروف وعصام الحرستاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 1993م، مج6. ص325. وابن كثير ت774هـ : تفسير القرآن العظيم، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط1، 2000م، ص168.

[3]) قال تعالى: "وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ۚ" البقرة الآية 102

[4]) المتبقيّ من مدينة بابل الفريدة مجموعة من الآثار على جانبيّ نهر الفرات، وكانت عاصـــمة أوّل وأكبر إمبراطورية في التّاريخ منذ أربعة آلاف عام وعلى جانبيّ نهر الفرات أقيمت حدائق بابل المعلقة التي تعتبرُ واحدةً من عجائب العالم القديم. للاســـتزادة انظر :كمال، رحاب، عجائب الدنيا السّبع وغرائبُ القّارات السّت،2003، دار الطلائع، القاهرة، مصر، ص6 وما بعدها.

[5]) قيطاز، محمّد عدنان، أسامة بن منقذ والجديد من آثاره وأشعاره، مرجع سابق،ص104.

في قوله إشارة تحيل على قوله تعالى : وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ"[1] وقوله تعالى: "وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أجيبُ دعوةَ الدّاعي إذا دعان"[2] فضلاً عن قوله تعالى: "وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ "[3]

قال من الكامل[4]:

لمَّا بلَغْتُ مِنَ الحَياةِ إلى مَدَىً قَدْ كُنْتُ أَهْواهُ تَمَنَّيتُ الرَّدى

ضَعُفَتْ قِوايَ وخَانَنِي الثّقتانِ مِن بَصَري وسَمْعِي حِينَ شَارفتُ المَدَى

وَالمَرءُ يَنكسُ فِي الحَيَاةِ وبينما بَلَغَ الكَمَالَ وتَمَّ عَادَ كَمَا بَدا

وقال من السّريع[5]:

نُكِّسْتُ في الخَلقِ وحَطَّتْنِي السَّ ـبعونَ لَمَّا أنْ عَلَتْ سِنِّي

وَغَيَّرَتْ خَطِّي فَأَضْحَى كَمَا تَرى وكَمْ غَيَّرت مِنِّي

والمَوتُ فِيهِ راحَةٌ مِن أذَى الدُّ نْيا فَمَا أغْفَلَهُ عَنِّي

قال من البسيط [6]:

كمْ قد شهدتُ من الحروب فليتني في بعضها مِن قبل نَكسِي أقتَلُ

وفي قوله (نُكِّسْتُ في الخلقِ) و (من قَبلِ نَكسي) و(المرءُ ينكسُ) تتّاص إشاريّ عمدَ إليه الشّاعرُ مشيرًا إلى قوله تعالى : ﴿وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي ٱلْخَلْقِ ۖ أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ [7] وفيه يثبت الشّاعر الحقيقة التي أعلنها القرآن الكريم صراحة من قبل وهي اقتران طول عمر الإنسان بضعفه وتهالكه بعد القوة والعجز بعد القدرة والفتور بعد النشاط .

وكتب قصيدة إلى ولده مرهف يطلب منه عصًا من الأبنوس من الطويل[8]:

أُريدُ عَصًا مِن أَبَنوسَ تُقِلُّني فَإِنَّ الثَّمانينَ اسْتَعادَت قِوى رِجْلي

---

[1]) سورة الانفطار، الآية10.

[2]) سورة البقرة،الآية186.

[3]) سورة غافر، الآية60.

[2]) قيطاز، محمّد عدنان: أسامة بن منقذ والجديد من آثاره وأشعاره، ص 137.

[5]) ابن منقذ، أسامة الديوان: ص275.

[6]) ابن منقذ، أسامة: الديوان، ص271.

[7]) سورة يس الآية68.تعددت الآيات الكريمة التي أخبر الله عزّوجلّ فيها عن التغيرات التي تطرأ على الإنسان حال الكبر والهرم ومن ذلك قوله تعالى من سورة الرّوم الآية54 ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۖ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾ كذلك قوله من سورة النحل الآية70 ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ ۚ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾

[8]) قيطاز، محمّد عدنان: أسامة بن منقذ والجديد من آثاره وأشعاره، 211.

ولو بِعصا موسى اتَّقيتُ لآدَها عَلَى مَا بِهَا مِن قوَّة حَمْلَهَا ثِقْلِي

وَلكِنْ تَمَنَّينَا الرّجاءَ بباطِلٍ وَكَم قَدرُ ما تُرجِي المَنايَا وكَم تُملِي!

إِذَا بَلغَ المَرْءُ الثّمَانينَ فالرّدَى يُنَاجيهِ بالتّرحالِ مِنْ جَانِبِ الرَّحلِ

استمرّت حركة الاضمحلال الجسمانيّ الهادمة لأسباب الحياة ورافقت تقدّم الشّاعر بالعمر؛ فمع بلوغه الثمانين سرى الضعف والفتور في جسده المتهالك وهو إذ يستشعر ضعفه، ويسلّمُ به، يخلع ثوب الكبرياء صورة الماضي، ويبدأ باتّخاذ خطواتٍ عمليّة تمكّنه من التعايش مع واقعه الجديد ؛ فيكتب رسالةُ لابنه يطلب منه عصًا تعين جسده المتهالك على الوقوف، وهو حتّى لحظة طلب العصا يتعامل بواقعيّةٍ توحي بتسليمه لهرمه وتقبله له، بيد أنَّ حجم نفوره من ذاته وغربته عنها يتبدّى في ثاني أبيات القصيدة، عندما يجعل ثقله أكبر من أن تتحمّله عصا موسى عليه السّلام وأحد أهمّ معجزاته[1]، متّكئًا على التّناص الإشاري الذي يعتمد الإشارة المركّزة والتكثيف الدّلالي، محيلًا القارئ على عدد غير قليل من النّصوص المقدّسة التي تحكي معجزات هذه العصا، والمفارقة التي تظهر حجم اغترابه، هو شعوره بالعجز والثّقل الشّديد، أو التّثاقُل على وجه أدقّ إلى درجة جعلته يقلب دلالة العصا التي حققّت المعجزات توظيفًا سالبًا عكسيًّا؛ مُجرّدًا إيّاها من كلّ قدراتها المُعجِزة جاعلًا إيّاها تضعفُ عن حمل ثقله، ما يوحي للقارئ بأنّ الثّقل الذي يستشعره ثقل نفسيّ المنشأ؛ سببه نفوره من نفسه وكراهته لها؛ إذ يراها أصبحت عبئًا على الآخر، و عالة على المجتمع بسبب عجزها عن أداء مهامها اليوميّة.

كما تكرر التناص القرآني في غير موضع لكنه كان بهدف التعبير عن السياقات المعنوية ذاتها. [2]

1-2 تناص مع الحَديث النّبويّ الشّريف:

قال من البسيط[3]:

يا رَبِّ حُسْنُ رَجَائِي فِيكَ حَسَّنَ تَضيِيعَ وَقتِي فِي لَهوٍ وَفِي لَعِبِ

وَأنْتَ قُلتَ لِمَن أَضحَى عَلَى ثِقَةٍ بِحُسنِ عَفوكَ: "إنّي عِندَ ظَنّكَ بِي"

---

[1]) تعددت الآيات الكريمة التي ذكرت معجزات عصا موسى عليه السّلام قال تعالى:﴿قال أَلْقِهَا يَا مُوسَى، فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى﴾ سورة طه الآيات﴿ 19- 20﴾ ﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾ سورة الأعراف، الآية﴿107﴾.﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا ۖ إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾ سورة طه، الآية ﴿ 69﴾ ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ ۖ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ سورة البقرة، الآية﴿60﴾.﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ ۖ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ سورة الشعراء، الآية ﴿63﴾.

[2]) ينظر ديوانه الأبيات: ص 171-289.

[3]) ابن منقذ، أسامة: الديوان،ص276.

تظهر الأبيات السّابقة تنوع المصادر الدينيّة التي لجأ إليها أسامة في شعره واتّكأ عليها في محاولةِ قهر مشاعر الاغتراب فكما سبق و وظّف آي القرآن الكريم في غير موضع من شعره نجده في هذا السّياقِ وقد لجأ إلى توظيف الحديث القدسيّ؛ إذ وقع التّناص مع قول النبيّ صلّى الله عليه وسلّم: يقول الله تعالى:" أَنَا عِندَ ظَنِّ عَبدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي ، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفسِهِ ذَكَرتُهُ في نَفسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرتهُ فِي مَلَإٍ خيرٍ مِنهُم، وَإِنْ تَقَرَّبَ إليَّ شِبرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيهِ باعًا وَإِنْ أَتَانِي يَمشِي أَتَيتُه هَرْوَلة." [1] مع تقدّم الشّاعر في العمر واقترابه من الموت أخذ يفكّر في ماضيه الطويل وبدأت الحسراتُ تملأ نفسه على ما اقترف خلاله من آثامٍ وتضييع للوقتِ فيما لا يجدي فلجأ إلى توظيف حديث قُدسيٍّ يبرز عظمة لطف الله تعالى وبرّه ورأفته بعباده و هو موقف داعمٌ قهرَ من خلاله حالة القلق والاغتراب التي يعيشها بسبب هاجس الموت وما ينتظره بعده من أهوال البعث والنشور الحساب والعقاب.

وقال من الخفيف[2]:

فَـوّض الأَمـرَ رَاجِـيًـا أَو قَـانِـطًـا جَفَّ بَالكَائِنِ القَلَمُ

فيه تناصّ مع قوله ﷺ: "عَنِ ابنِ عبَّاسٍ رضـي الله عَنهُمَا قال: كنتُ خلفَ رسـولِ اللهِ ﷺ يومًا قال يا غلامُ ، إني أعلِّمُك كلماتٍ: احفَظِ اللهَ يحفَظْك، احفَظِ اللهَ تجِدْه تُجاهَك، وإذا سألتَ فاسألِ اللهَ، وإذا استعنْتَ فاستعِنْ باللهِ ، واعلمْ أنَّ الأمَّةَ لَوِ اجتمعتْ على أن ينفعوك بشيءٍ، لم ينفعوك إلّا بشيءٍ قد كتبه اللهُ لك، وإنِ اجتمعوا على أَنْ يضُـرُّوك بشـيءٍ لم يضُـروك إلّا بشـيءٍ قد كتبه اللهُ عليك، رُفِعَتِ الأقلامُ وجَفَّتِ الصُّـحُفَ"[3] يتبنّى الشـاعر معاني الحديث النبويّ الشّـريف ؛ **فيظهر مسـتسـلمًا خاضـعًا لوقائع الدهر وتقلبات الدنيا** لا استسلام المنكسر الذليل، وإنّما استسلام المؤمن الواثق بحسن تدبير الله عزّ وجل، وكأنّ لسـان حاله التي امتلأت إيمانًا فقهرت الاغتراب يقول : سـأسـتسـلمُ لإرادة الله وأفوض أمري إليه، إنّ الله عالم بأمور عباده.

وقال من مجزوء الكامل[4]:

كُـلَّ مـا اسـتَـعـذبـتَ مِـن جَـو رِكَ تَعـذيبٌ وَجَـمْـرُ

لَـيْـسَ يَـلقَى دَعـوةَ المَظْـ ـلُـومِ دونَ اللهِ سِـتْـرُ

---

[1]) أخرجه مسـلم في صـحيحه في كتاب الذّكر والدعاء، الحديث رقم 2675 ينظر: مسـلم بن الحجاج ت261هـ تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربيّة، ط 1991،1م، ج1، ص2061. والبخاري في كتاب التّوحيد الحديث رقم 7405 ينظر: البخاريّ، محمّد بن إسـماعيل ت256هـ، دار ابن كثير، ط2002،1م، دمشق، سوريا،ص1827.

[2]) ابن منقذ، أسامة: الديوان، ص288.

[3])التّرمذي ت279هـ: الجامع المختصر من السّنن عن رسول الله ﷺ ومعرفة الصّحيح والمعلول وما عليه العمل المعروف بجامع التّرمذي، بيت الافكار الدولية، عمّان، الأردن،(د.ت)،كتاب صفة القيامة، الحديث2516، ص409.

[4]) ابن منقذ، أسامة، الديوان،282.

في تناصّ مع قول رسول الله ﷺ:عَنِ ابنِ عبّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُمَا أَنَّ النّبِيَ ﷺ بَعَثَ مُعاذًا إِلى اليَمَنِ فَقَالَ: اتَّقِ دَعوةَ المَظلُومِ؛ فَإِنَّها ليسَ بينَهَا وبينَ اللهِ حجَاب"[1] والهدف من التناص مع الحديث النبوي الشـــريف الوعظ والإرشاد؛ ليوقظ الناس من غفلتهم، وينبههم على عاقبة أفعالهم.

وقد خلص البحث إلى عدة نتائج أبرزها:

نتائج البحث :

خلص البحث إلى نتائج عدة أبرزها:

1. اتّكأ الشّاعر على ثقافة دينيّة عميقة ، وأفاد منها لإثراء نصّه الشّعري ورفده معنويًّا بالبعد التأثيريّ للنص المقدّس.
2. تنوّعت مصادر موروثه الدينيّ ما بين القرآن الكريم ، والحديث النبويّ الشريف.
3. أخذ التناصّ القرآني أربعة مظاهر: تناصّ كامل اعتمد على الاستشهاد بالآية الكريمة بشكل شبه كامل مع تحويرٍ طفيف، وتناصّ جزئيّ تجلّى باقتطاع جزء من الآية الكريمة، وتناص إشـــاريّ إحاليّ اعتمد الإشارة المكثّفة الموجزة ، والتي تحتاج قراءة أدقّ من القارئ لاكتناهها.
4. كانت أبرز المعاني التي وظّف الشّاعر فيها التّناص هي: معاني الوعظ، والحكمة، والإرشاد.

ثبت المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

1. ابن الأثير ت630هـ: الكامل في التّاريخ، تح: محمّد يوســـف الدقاق دار الكتب العلميّة، بيروت لبنان،ط4، 2004م، مج9.
2. الأحمد، نهلة فيصـــل: التّفاعُل النّصـــي–التناصـــيّة النظرية والمنهج، الهيئة العامّة لقصـــور الثقافة، القاهرة، مصر،2010م.
3. الأصفهانيّ، العماد الكاتب ت 597هـ: خريدة القصر وجريدة العصر قسم شعراء الشّام، تح: شكري فيصل، المطبعة الهاشميّة، دمشق، 1955م، ج1.
4. البخاريّ، محمّد بن إسماعيل ت256هـ، دار ابن كثير، دمشق، سوريا، 2002م.
5. التّرمذي ت279هـــ: الجامع المختصر من السّنن عن رسول الله ﷺ ومعرفة الصّحيح والمعلول وما عليه العمل المعروف بجامع التّرمذي، بيت الافكار الدولية، عمّان، الأردن، (د.ت)،كتاب صـــفة القيامة.

[1]) البخاري ،أبو عبدالله محمد بن إسماعيل ت253،صحيح البخاري، مرجع سابق، الحديث رقم: 2448،كتاب المظالم46،ص592.

6. ابن تغري بردي ت874هـ: النجوم الزاهرة في ملوك مصـــر والقاهرة، وزارة الثّقافة والإرشـــاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للطباعة والنّشر،(د.ت)، ج6.
7. جمعة، حســن حســين: نظرية التناص صــكّ جديد لعملة قديمة، مجلة مجمع اللغة العربية، دمشــق المجلد 75،ع2، 2000م.
8. الحمويّ الروميّ، ياقوت ت626هـ معجم الأدباء، تح: إحسـان عباس دار الغرب الإسـلاميّ، بيروت، لبنان، 1993م،ج2.
9. ابن خلكان 681هـ: وفيات الأعيان، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت لبنان، 1978م، مج1.
10. الزبيدي ت1205هـــــــ: تاج العروس، تح: عبد الكريم العزباوي، مطبوعات حكومة الكويت، 1979م.
11. الزّعبي، أحمد: التناص نظريًا و تطبيقيًا، مؤسسة عمون، عمان، الأردن2000م.
12. الســنجلاوي، إبراهيم، دلالة التّضــمين في خواتم قصــائد أبي نواس، مجلة جامعة دمشــق،ع11، 1988م.
13. الطّبري ت310هـ : تفسير جامع البيان عن تأويل القرآن، تح: بشار معروف وعصام الحرستاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 1993م، مج1.
14. عبد المطلب، محمّد: قضـــايا الحداثة عند عبد القادر الجرجاني، الشـــركة المصـــرية العالمية لونجمان، القاهرة، مصر، 1995م.
15. ابن العديم ت660هـ: زبدة الحلب من تاريخ حلب، تح: خليل المنصـــور، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط1، 1996م،
16. ابن عساكر ت571هـ: تاريخ مدينة دمشق، تح: العمروي، عمر بن غرامة، دار الفكر،1995م.
17. فضل، صلاح: إنتاج الدّلالة الأدبيّة، مؤسسة مختار، القاهرة، مصر،ط1 (د.ت).
18. ابن القلانســي، أبو يعلى حمزة ت555هـ: ذيل تاريخ دمشــق، مطبعة الآباء اليســوعيين، بيروت، لبنان،1908م.
19. قيطاز، محمّد عدنان: أسـامة بن منقذ والجديد من آثاره وأشـعاره، منشـورات وزارة الثّقافة، دمشـق، الجمهوريّة العربيّة السوريّة،1998م،
20. ابن كثير ت774هـ : تفسير القرآن العظيم، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط1، 2000م.
21. كمال، رحاب، عجائب الدنيا السّبع وغرائبُ القّارات السّت، دار الطلائع، القاهرة، مصر،2003م.
22. مسلم بن الحجاج ت261هـ، الصّحيح، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربيّة، ط 1 1991م، ج1.

23. المقدسـيّ، أبو شـامة ت665هـ: الروضـتين في أخبار الدولتين النّوريّة والصّـلاحيّة، تح: إبراهيم الزيبق، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 1997م، ج1.
24. ابن منظور ت711هـ: لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، مج7.
25. ابن منقذ، أسامة: الدّيوان، 1996م، دار صادر، بيروت، لبنان.
26. ناهم، أحمد: التّناص في شعر الرواد، دار الشّؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق، 2014م.